الصاعقة الأربعون: أطاعنُ خيلاً من فوارسها الدّهرُ(*)

أُطاعنُ خيلًا منْ فوارسِها الدّهرُ ... وحيداً وما قولِي كذا ومعي الصبرُ
وأشجعُ مني كلَّ يومٍ سلامَتي ... وما ثبتتْ إلا وفي نفْسِها أمرُ
تمرّسْتُ بالآفاتِ حتى تركتُهَا ... تقولُ أماتَ الموتُ أم ذُعِرَ الذعرُ
وأقدمْتُ إقدامَ الأتيّ كأنَّ لي ... سوى مُهجتي أو كانَ لي عندها وِتْرُ(١)
ذر النفسَ تأخذْ وسعَها قبلَ بينِها ... فمفترِقٌ جاران دارهُمُا العمرُ
ولا تحسبنّ المجدَ زقًّا وقينةً ... فما المجدُ إلا السيفُ والفتكةُ البكرُ
وتضريبُ أعناقِ الملوكِ وأنْ تُرَى ... لكَ الهبواتُ السودُ والعسكرُ المجرُ(٢)
وتركُكَ في الدنيا دويًّا كأنما ... تداولَ سمعَ المرءِ أنْمُلُهُ العشرُ
إذا الفضلُ لم يرفعْكَ عن شكرِ ناقصٍ ... على هبةٍ فالفضلُ فيمنْ له الشكرُ
ومن يُنفقِ الساعاتِ في جمعِ مالِه ... مخافةَ فقرٍ فالذي فعَلَ الفقرُ
عليّ لأهلِ الجورِ كلُّ طِمِرّةٍ ... عليها غلامٌ ملءُ حيزُومِه غمرُ(٣)
يُديرُ بأطرافِ الرّماحِ عليهِم ... كؤوسَ المنايا حيثُ لا تشتهي الخمرُ
وكمْ منْ جبالٍ جُبتُ تشهدُ أنني الـ ... ـجبالُ وبحرٍ شاهدٍ أنني البحرُ

(*) مناسبة القصيدة: قال يمدح علي بن أحمد بن عامر الإنطاكي.
(١) الأتيّ: السيل يأتي من بعد، الوتر: الثأر.
(٢) الهبوات: الغبرات. المجر: الكثير.
(٣) الطمرّة: الفرس الوثابة. الحيزوم: الصدر. الغمر: الحقد.

وخـرقٍ مكانُ العـيسِ منه مكانُنَا ... من العيسِ فيهِ واسطُ الكورِ والظهرُ[١]

يخـدن بنا في جـوزه وكـأننَا ... على كُـرةٍ أو أرضُـهُ مـعنا سـفـرُ[٢]

ويـومٍ وصـلـنـاهُ بـلـيـلٍ كـأنما ... على أُفْـقِـهِ منْ برقـهِ حُللٌ حُـمـرُ

ولـيـلٍ وصلْناه بـيـومٍ كـأنما ... على مـتنِه منْ دجنِه حُللٌ خُـضـرُ[٣]

وغـيـثٍ ظننا تحـتَـه أن عـامِـرًا ... علا لم يمُتْ أو في السّحاب له قبرُ[٤]

أو ابنَ ابنِه البـاقي عليّ بنَ أحـمـدٍ ... يجـودُ به لو لمْ أجُـزْ ويدي صـفـرُ[٥]

وإن سـحـابًا جـودُهُ مـثلُ جُـودِه ... سحابٌ على كلّ السحابِ له فخرُ

فـتى لا يضُمّ القلبُ همّـاتِ قلبِـه ... ولو ضـمّـهـا قلبٌ لما ضـمّـهُ صـدرُ

ولا ينفعُ الإمكانُ لولا سـخـاؤهُ ... وهل نافعٌ لولا الأكفُّ القنا السُّـمـرُ

قـرانٌ تلاقى الصَّلتُ فـيـه وعـامـرٌ ... كـمـا يتـلاقى الهندوانيُّ والنصـرُ[٦]

فـجـاءَ به صلتَ الجـبينِ مـعظَّمًـا ... ترى الناسَ قلاًّ حـولَه وهم كُـثْـرُ[٧]

مُـفـدًّى بآباءِ الرجـالِ سـمـيـذعًـا ... هوَ الكرمُ المدُّ الذي مـا له جـزرُ[٨]

---

(١) الخرق: الفلاة الواسعة. واسط الكور: مقدّم الرحل.
(٢) يخدن: يسرعن. جوزه: وسطه. سفر: مسافرة.
(٣) الدجن: إلياس الغيم السماء. الخضر: السود.
(٤) عامر: جد الممدوح.
(٥) أجز: أعبر. صفر: فارغة.
(٦) القران: اجتماع كوكبين.
(٧) صلت الجبين: واضحه.
(٨) السميذع: الرجل الكريم.

وما زلتُ حتى قادَني الشوقُ نحوهُ ... يسايرُني في كلِّ ركبٍ له ذِكرُ
وأستكبرُ الأخبارَ قبل لقائه ... فلمّا التقَيْنا صغّرَ الخبرَ الخُبْرُ
إليك طعنّا في مدى كلّ صفصَفٍ ... بكلّ وآةٍ، كلُّ ما لقيتْ نَحرُ[1]
إذا ورمتْ منْ لسعةٍ مرحتْ لهَا ... كأنَّ نوالًا صرّ في جلدها النِّبرُ[2]
فجئناكَ دونَ الشمسِ والبدرُ في النوى ... ودونَكَ في أحوالكِ الشمسُ والبدرُ
كأنكَ بردُ الماءِ لا عيشَ دونهُ ... ولو كنتَ بردَ الماءِ لم يكنِ العشرُ[3]
دعاني إليكَ العلمُ والحلمُ والحجى ... وهذا الكلام النظمُ والنّائلُ النّثرُ
وما قُلتُ منْ شعرٍ تكادُ بُيُوتُهُ ... إذا كُتبتْ يبيضّ من نورِها الحبرُ
كأنَّ المعاني في فصاحةِ لفظِها ... نجومُ الثريا أو خلائقُكَ الزُّهرُ[4]
وجنَّبني قُربَ السلاطينِ مقتُها ... وما يقتضيني من جماجمِها النَّسرُ
وإنّي رأيتُ الضُّرّ أحسَنَ مَنظراً ... وأهونَ منْ مرأى صغيرٍ به كِبْرُ
لساني وعيني والفؤادُ وهِمتي ... أودُّ اللواتي ذا اسمُها منكَ والشَّطرُ
وما أنا وحدي قلتُ ذا الشعرَ كُلّه ... ولكنْ لشعري فيكَ منْ نفسه شعرُ
وماذا الذي فيهِ منَ الحسْنِ رونَقًا ... ولكنْ بدا في وجهِهِ نحوكَ البشْرُ
وإني ولوْ نلتَ السماءَ لعالِمٌ ... بأنكَ ما نلتَ الذي يوجبُ القدرُ
أزالتْ بكَ الأيامُ عتبي كأنما ... بَنُوها لها ذَنبٌ وأنتَ لهَا عُذرُ

(١) الصفصف: الأرض المستوية. الوآة: الناقة السريعة.
(٢) النبر: دويبة تلسع الإبل فيرم موضع لسعها.
(٣) العشر: أن تورد الإبل كل عشرة أيام.
(٤) الزهر: جمع أزهر: المضيء المشرق.